

بين الخرافة والصهيل

عبير يوسف

بين الخرافة والصهيل

تتناسل أجيال

لا تدرك من الحياة

الا ما تتناقله الأساطير

عن انسانية

كانت قاب قوسين أو أدنى

من اقتراف الحلم

اهداء

الى دهشة البدايات

والنهايات المؤجلة

الى الأحلام منتهية الصلاحية

الى الحزن المعتق

والصمت المفوه

والظل الممتد للعابرين.. دون طريق

ما زلت تلك .. التي كانت منذ قليل

كطقس صباحي

أمشط أحرفي

بأنغام ذابلة

وذكريات عنيدة

أشياء متنافرة

تتجمع رويدا

لتصنع شيئا

من مرايا

ما زلت أدين للأشجار

باعتذارات عديدة

عصفوري ذاك الذي

كفنته بدموعي

كان يعرفني أكثر

ما زلت أتلقى المجاملة بقبول حسن

وأنا أردد غير ذلك

ما زلت أردد ما لا أعنيه

بأبجديات الكذب المزخرف

بلون قوس قزح

وما زلت أجد للكذب سيقانا

لا تصل لأبعد مما يصل اليه النظر

ما زلت تلك المرأة

المسكونة بالأسئلة

والدهشة

والرغبة الأكيدة

في التوحد بالحرف

ما زلت تلك التي

كانت منذ قليل

تسأل الطريق

أي نجمة تصاحب

كيلا تصل سريعا

ما زلت أحاور أشيائي

فتدب فيهم الحياة

ما زال اسمي يتوسط

أداتي التعجب والاستفهام

ما زلت أحتسي أيامي

بشغف

وبلا تردد

ما زلت أعبر حروفي

لأصل لنفسي تلك التي

أجهل تفاصيلها الدقيقة

ما زلت أقبل نفسي على علائها

وأظهار بأن ذلك لا يؤرقني

تتعدد الأصوات من حولي

فأسمعني بوضوح

اشتقت لتلك الوجوه

التي لم أرها أبدا

موسيقى لم يقترفها أحد

الناس بمدينتي

موسيقى عرجاء

لم يقترفها الصمت

لم تترنم بها الأضواء

لم يسكبها الحزن

على مأدبة المساء

لم تستسلم لموت

والحياة عناء

الناس بمدينتي

لغز الانتظار

وحتمية البقاء

الناس بمدينتي

وحدة بلا أصدقاء

حرف تائه

بين فضاء .. وفضاء

رأس كأنه أنا

كيف يتهجي الصداع رأسي المتعب
الخالى تماما من السكينة
الباحث دوما عن متكأ لسؤال بلا جواب
ومساحة يتساقط منها العالم
كمطر يبحث عن انفراجه
يا لك من رأس كأنه أنا
أو صداع كاللاشيء وهو يرتدى زي الشعراء
يتخافت صوت الموسيقى
وهو يبحث عن ظل لا يكرر صداه المدى
واللحن يصرخ في حناجر
ما احترفت يوما الغناء
ورأسي كما هو بين راحتي
لا يؤمن بجاذبية عقيمة
ولا حرية مطلقة
بين اعتراف مقيد..
وصمت التأويل
هل يبدو غامضا
وهو يصيغ من الألم قصيدة تخصه وحده
ستبتسم حتما -يوما ما- أيها القلم

ربما وأنا هناك
أمسح الغبار عن النوافذ المظلمة
ويلاحقك الفضول هل آمن الرأس بالجابية
وتخلى الصداق عن حميمته المطلقة
كلما ارتفع النداء للمطر
سترتدى أحبارك على غير هدى
وتومئ للحروف
بالتقادم وحيًا

متوحد ب لا

كيف أكتب

وكل ما بداخلي

لا يعبر عني تحديدا

طلاء أظفري لا ينتمي لأحلامي

الدقات المتوالية على الكي بورد

لا تذكرني بالمواعيد الغابرة

مع حروف أكثر وطأة على النفس والقلب

أصبعي هذا لا يشير الى المرأة

ويقصدني تحديدا

كتابي الذي بحقيبتني لم يحرر الآه بصدري

لذا أقرضته لأقرب طفل

يبحث بين ظلاله عن قارب يسبح به

لأبعد مدى

أو طائرة تحمله فوق مستوى النقد

وأقاويل المساء المتوحدة بلا

كيف أعبر عني؟ وكيف لا أفعل؟

وعلامات الاستفهام تتشظى بداخلي

تتكاثر الكترولونيا كفيروس نائي

تتمحور كأميبيا لا تبحث عن سبيل

تختار أي طرق أصعب

لتصل لك على استحياء
بشيء من اللامبالاة المحببة
في فترات الحزن المقدس
والايتيان بما لا تنوى تحديدا
والاغداق عليه بما لا تملك فعلا
والسباحة فيما بين .. مع أو ضد
بلا لا التي لا تعرف المواردية
سوى استجلاء القادم بشيء غير الفنون
ما بين الاقتراب والنفور
سفن لا تبحر من حيث أنت
ليس لرغبتها بميناء آخر
بل لانتهاجها بحر بديل
والزيت يتحرر من لزوجته
لاعترافه المسبق بقواعد البشر
والآهات تضيع في خضم الاعتراف/الانكار
بوجود ثمة لا ... تتضخم .. تتلون .. تتحور
لتصبح كونا بلا انتقاص
ربما يسكنه الكثيرون
ويجهلون
أنه ببساطة وسلاسة
يعنى الوطن

عندما يصبح اللاشيء شيئا مذكورا

محاولة اقتناص هذا اللاشيء
من جعبة الأشياء

عندما يصبح اللاشيء وطنا
فمن سينتمى إليه؟

بغرقتي هذا اللاشيء
يتصدر لوحة
تتيح لي رؤية أعمق
أضحكتني هنا علامة تعجب تذييل اللوحة
من صديقة ما عدت أتذكرها
زجرتها أحزاني خارجا عن نطاق التغطية
سألتني بدهشة ساخرة
ما تلك اللوحة الفارغة؟
عبتا شرحت لها انها عالم بأسره
رمقتني بنفس تلك النظرة
التي ترسمني عبتا
كرياح صاخبة في شتاء عقيم
وحدى أدرك ان هذه اللوحة
هي كل ما أملك دائما وابدا

ها هو البحر يصدر أنينا
فلقد هجرتنا الموانئ أعواما عجاف
ها هم رواده يأتون ويرحلون
وأنا التي منذ أتيت تعلقت ما بين سماء ورمال
ولم أغادره قط الا لأعد له بشوق أكثر

ذاكرتي مازالت تردد
أنني هذا اللاشيء
ما بين علامتي تنصيص وبتر

هذا اللاشيء عرفته لي جدتي
عندما أخبرتها ان هناك شيئاً ما يشاكسني
أراه على مقربة مني كظل حنون
فاذا ما اقتربت منه
حلق عالياً .. بعد ان يهمس لي
بأن أأخذو حذوه
قالت لا شيء صغيرتي
لا شيء هنا .. لا شيء
اعتقدت حينها
ان اللاشيء هناك
أمر لا سبيل للتشكيك بوجوده

اقترفت حماقاتي جميعها
وانا أردد لا شيء يمنعني ألا افعل
وكان كل شيء يقف حائلاً
كعلامة لا التي تحيل ما بين
الشيء واللاشيء

ها أنا أصفك لتكن شيئاً مذكوراً
ليحبك الجميع كما أفعل أنا
فأنت تقديرك سيأتي فيما بعد
نفعل لم يأن بعد

لست عبثاً أبدا
معك أشعر بالأمان
فليس بجعبتك أدوات الاستفهام
تلك التي تستهدف عجزي
ولا سخرية علامات التعجب
وفواصل الأحلام

سأمتطي من الحزن حصانا جامحا
وسيرددون بعدي
لا شيء هنا يبقى

لكنك ستبقى رغم ادعاءاتهم و صبري
ستبقى تردد صدى ما يهمله الجميع
وتلوكة الألسنة قهرا
ما نزفته الأقلام عرضا
ما تلى شهادة أرض انها ما ابتلعت دماء شهيد
ستبقى في لحن القول
واعراض الجهلاء
حقيقة لا سبيل للوصول بغيرها

سأترك كل شيء لكم
وسأحتفظ لي فقط بما تبقى من اللاشيء

هذا صدى اللاشيء
هذا نسق اللاشيء
هذا حلم اللاشيء
هذا اللاشيء عندما تصدر خطب الزعماء

ومضات

(قصيدة)

بعينه قصيدة

بدأها باسمي

وذيلها بابتسامتي

ونسجها برقتي

وعندما طالبتة

بملكيتها

أنكر وقال : قصيدتي

(رؤية)

تمنيت يوما

أن أراك

لأثبت لنفسي فقط

انك عن الجميع تختلف

(معطف الشتاء)

كمعطف الشتاء أنت

حين يشتد صهيل البرد

(زهور على بابي)

زهور تسبق مجيئك

أجدها ببابي معلقة

تحفر بين أنسجة الخشب

نبض قلبك

(مشاعرك)

لا تصف مشاعرك

فالحروف أجدها

ترتعش بين ضلوعك

(حنيني)

يسبقني حنيني

ينتظرنني

حتى أجذك

فإذا أزمعت الرحيل

رحلت وحدي

(طيفك)

قال لي طيفك أحبك
مئات بل آلاف المرات
ولازلت أتظاهر بالصمم
فلا أمل أبدا سماعها

(أيقونة)

ما زلت تحمل سرى بأيقونتك
وما زلت تعجز
أن تفك بعض شفراتها

(نداء)

أناديك بروحي
ودائما ما ترد النداء
فإذا نطق باسمك لساني
لم تجب

(غروب)

قصتنا غريبة
بدأت حين الغروب
ونسجنا بشعاع الشمس
تفاصيلها

(غيرة)

غيرتك علي تخيفيني
تشعرنى أننى المرأة الوحيدة
التي من أجلها يتصارع الرجال

(لا تخنق الحروف)

عندما تخنق حروفي بيديك
لا تجد ملاذا سوى قلبك
ألتختبئ فيه

(رحيل)

كلما هممت بوداعك
نهرني قلبي
بقوله
ما زال الوقت مبكرا

(دع قلبك لي)

دع قلبك لي
وضم إليك العالم
فهو لا يعنيني

(امرأة بعينيك فقط)

لا يهمني أن أكون

امرأة جميلة

يكفيني أن أكون امرأتك

(عندما يتحدث الصمت)

لا تدع الصمت يتحدث

بدلاً عنك

فهو يخبرني بأسرارك الخفية

(من هرة أغار)

تتعجب أن أغار

من هرة

وبعض الحوائط

والأرائك

ما زلت تجهل بعض أبجديات الحب

(بعثرة)

إنسان مبعثر

أنا

وما زلت الفنان

الذي يللم تلك البعثرة بلوحته

قصيدة مبتورة الأطراف

كلما بحثت عنك دموعي

ارتطمت بحائط أجوف

فتهاوت الروح

ما بين الجدران

كم سطررتي الحماقة

وكم تخطى عنى الحذر

سأتنفس لطيفي وطيفك

أما أنا وأنت

فعلينا البحث

عن رئات بديلة

فالصمت نفذ ما بين الشقوق

تتركني

تفقدني

لتجدني

أحتل كل الفراغات

حد اقتراف الصدى

سأرسل لك من الروح

قصيدة مبتورة الأطراف

هي كل ما أملك حالياً وأبدا

تمشط الريح الطريق

فلما لا ترتاد القلب

فثمة جذور راسخة

سأبحث عنك لأجدني

فما زلت بين الدروب

شبه تائهة

وزائرة مستديمة

أرجل كما تشاء

أينما تريد

فثمة نقش لك بالقلب

أكتبك دوما

لا تتعجب

فحرفي مدادك

يطربك شجني

ويغريك انهزامي

تبحث عني زادا

لتكمل مسيرة الهجران

الصوت العائد من مصافحة الريح

الصوت العائد

من مصافحة الريح

يقرؤك السلام

أتكىء على صوتي

ذات حنين

فنبت للصوت

جناحان

علقني على شرفة

أحبك

بحلمه المتجذر في

تبنى أيامي الغابرة

بابتسامته الخضراء

نقشني كشيء يخصه وحده

كتابه/

قلمه/

أوراقه/

كرسيه الخشبي

منضدته المستديرة/

بدلته الأنيقة/

كرافته الذي لا يطيقه/

قميصه الذي أُهدى له

ولا يتذكر مِمَّنْ؟

الحائظ الذي استند عليه الضوء

بظلاله الأسيرة

نومه الغافي على كتف الأوراق

والرياح تقهقه

طيفه الذي يلازمي

كدعاء أمي

وخوف أبي

سأقترف النهر

سأقترف النهر

محض اختبار

لرياح الجنوب

وهي تعبت بالظلال

سأقترف النهر

وسأسمح لغيري بالارتواء

بإعادة النظر

بنرجسية العطاء

وموسيقى المطر

سأقترف النهر

ليس توغلا بالاختباء

ولا لإعادة تشكيل

جغرافية البشر

سأقترف النهر

وأغترف الصبر

من بين ثنايا الموج

وهي تحتسى بصبر

ملوحة المطر

سأقترف النهر

ربما يمر العمر

ويتركني هناك
كأوتاد تشد الغريق
من مغبة السفر
وتمنح الأمان
لمرايا الوتر
سأقترف النهر
فعليكم بالانتظار
لتكمل اللوحة
تلاوة ألوانها
بعدما تبعثر الأزرق
ما بين الأوراق

سأقترف النهر
وسأنتحب بين الزوايا
على من مر سريعا
دون القاء الشواطئ
وبعثرة الرماد
كصدى لهشيم يحتضر
وستأني الطيور
بأحاجي مغايرة
لأعشاش ما فقدت صغارها

ما نهرها الدفء

وما قيد الشتاء

حينها للبقاء

سأقترف النهر

وأهمس للصمت

بوطن

لم تكتب له النجاة بعد

وتأرجح الشهداء

ما بين سماء وفراغ

سأقترف النهر لكائنات تحيا

تعنصر أوردته

لتغني وترقص

والرياح تصفق

سأقترف النهر

لفتاة صغيرة

قيل لها

ذهب أبوك ليصطاد

فابتلعه النهر

فتمنت بأعماقها

أن يرقد النهر
بجانب سريرها
لتربت عليه كل ليلة بقولها
"لعلك بخير أبي"

خيوط العنكبوت

خيوط العنكبوت

تقيد رثتي

تتمرد على رتابة

زفير لا بد منه

تنفث هموما قصوى

وشهيق يبحث عن ثقب ضوء

لينفذ منه شهقات أخرى

ضجيج الخيوط

يمنع القلب

من إعادة دماء دخيلة

لأخرى ما فقدت النطق

والعقارب تبتث سمومها

والخيوط لا تهتم كثيرا

بجاذبية الصوت

خيوط مازالت تبحث

عن أنامل جدتي

وهي تخطط لي من الغد

أثوابا بلا عد

ومع رحيلها

لم يبق سوى
حكايات لا تتقن السرد
ولا تبتغى حكمة الشتاء
في تجريد الأشجار
من الهزال
والأوراق من المأوى
والرياح من التشرذم الضرير

خيوط ينفذ منها ضوء هزيل
اعتنق الوجود
بأنامل ترتعش
وتجاعيد بدائية
خيوط لا تحجب نبضا متوارثا
ولا خطايا لابد من اقترافها
من يكثرث باختيار
أداة تعريف مناسبة للاختناق؟
من يبالي بالهمزات السائدة
والطريق ينتحر؟
والقدم تصطدم بأيد ورؤوس أخرى
من يهتم بإعادة المسار
لرياح الشمال

وهي تصافح الشفق
وتعبث بالظلال
خيوط كأنها العمر
تمر من حولي
دون ان تمنحني شرف المحاولة
خيوط كمرآة خطوط يدي
وهي تبادر بالمقاومة
خيوط تناديني
تستوقفني كلما هممت بالرحيل
لنسترضيني
خيوط من الأعماق تلاقيني
الذكريات لا تمر
والأرصفة ما عادت تنتظر
والقطارات فقدت شرعية السفر
وقفازات خلعتها الأنهار
بالقرب من نافذتي
وولت..
وبكائيات لم أعد أدري حقا
لمن تنتمي
الخيوط تتشابك
والأنفاس تتعثر

بمفترق الطريق

ركضت بأفضل

مما تستطيعه احلامي

للنفاذ عبر الخيوط

فما تلاقينا

ذهبت أنا لخطة بديلة

لاقتراف الكلمات

بينما استوطنت هي ملامح الورق

حتى الأحبار

ما استطاعت بعثرتها

سوى لبقايا

من بقع هائمة

سريعا ما تجمعت

لبدء خيوط اخرى

لمعاودة رحلة مقدسة

نحو الخلاص

من جاذبية

بأئسة

ما عادت تجذب سوى الصمت

حينما يمر الماء سريعا

حينما يمر الماء سريعا

يوقظ الندى من افتتانه غير المبرر بالعطر

واهماله وجه الصغيرة

التي باتت تحلم بتباشير المطر

حينما يمر الماء سريعا

يزيل احتقان الأنسجة

من رياح المغيب

حينما يمر سريعا

يمتزج بقلب

رحل عنه طائره

ولم يدع له حتى الأجنحة

حينما يمر سريعا

تشثاقه نفوس ظمات

لبعض استفاقة من مطر

حينما يمر الماء سريعا

ويردد الصدى حروفه المقدسة

والأحياء تترنم بأحلامه المباركة

حينما يمر الماء سريعا

تلتقطه الحروف

بحظ وافر على خجل

من أن تفشل خطوط اليد

باكتشاف أعماقه

حينما يمر الماء سريعا

ويتركنا معلقين بأدوات استفهام مجحفة

تهدف غالبا

لاجتثاث الصبر من أحلامنا

حينما يمر الماء سريعا

يقترف صماتا آثما

دون ذنب يذكر

حينما يمر الماء

ونتعثر نحن بالمرور

ويتلعثم الطريق

باستكمال ما بدأ لتوه

نستودعنا بين رحايا

شاطئين

من شهيق وزفير

دون ماء راكد يستهدف أحلامنا

وبقايا من تربة لا تليق بأرواحنا

فكيف يمر سريعا

ويحك لنا الارتقاء به

أملا لا يتحقق بشكل مستمر

حينما يمر سريعا

أنتفاني

كمن قابل الحياة لتوه

بوجه يبتسم

وهو يجترح الأنا

من شفا حفرة سحيقة

بحجم كون يتسع

صمت وشيك

لا يجيد الفراغ

تشكيل أوردتي

كما ينبغي

لا يجيد الصمت

الزج بي

بطريق يخلو

من غبار الكلمات

لا تجيد الأشياء اقترافي

دون اجتذاب الشمس

ابان مطر

لا يجيد الندى

انفجار البراعم

دون ربيع يحلم

بفجر وشيك

لا تجيد الطرق احتوائي

دون يقين

لم يتوقف المارة
بحكم العادة
أمام أدوات استفهام راسخة
ومشائق من تعجب

كم يدفعنا الفضول
لائم التغيير
متذكرا دوران الأرض
فلسفة الليل دون طعام
ونهارا دون عمل
كم يدفعنا الخوف
لمعاقرة التاريخ
كطقس لا بد منه

مع سبق الاصرار والترصد

صارحت وحدتي
أنني أهذي
فردت ساخرة
وما الجديد؟

صارحت قلمي
أنني أعشقه
فابتسم لي قائلاً
هل وجدت صدقاً بغيري؟

صارحت أوراقي
أنني أدمن شذاها
فقلت على الرحب والسعة
ولكن كفى نحيباً
فدموعك تلهب أنسجتي

صارحت عيني
أنني سئمت مذاق الدمع
ونكهته
فقلت: سيدتي لم تتذوقي غيره
منذ أمد بعيد

صارحت قلبي
أنني بدونه أصد
طاقات الرياح
وأصارع الزوابع
فقال: هل تتمنين رحيلي؟
فضممته بدموعي
التي اختلطت بدمائه

صارحت أناملني
أنني أجهل أحيانا
وقع خطاها
فقالتم : هذا أفضل لك ولي

صارحت أصدقائي
أنني غريبة بعض الشيء
منعزلة إلى حد ما
كئيبه أحيانا
متزمتة أحيانا أخرى
أفتقد الود مع الغرباء
قالوا لي: لماذا تلهبين بالسوط ظهرك ؟
فشعرت به على جسدي يترنح

صارحت نفسي
أنني مغرورة لحد ما
وأنظر للناس من أفق أوسع
ولنفسني الضيقة المسام
بسحب ممطرة

صارحت حروفي
أنني أكذب كثيرا
وأمارس الجنون بحرية
ومصداقية
وشفاقيه
فتعالت ضحكاتها
ممتزجة بدموعها الغزيرة

صارحت عقلي
أنني أهينه أحيانا
وأودعه بهوه سحيقة
فالعقل أصبح حملا ثقيلًا

على الأكتاف والأعناق
بل والأفئدة

صارحت ما تبقى مني
ولم يتم ذكره
أننى أفتقدهم جميعا

صارحت المطر أننى أعشقه
وأدمن رائحته
ورقصته
وإنسانيته

صارحت الشمس بعشقي
لها حين الشروق
فخجلت وولت غاربة
فكان غروبها أجمل

صارحت القمر أننى أعشقه
ملكا بأوج عظمته
بينما ينشطر لنجوم متوهجة

صارحت الآمي
أننى أشفق عليها
حينما أتناسى كيف أداويها

صارحت أدوات الاستفهام
أننى أرتكب ذنبا عظيما
عندما تعتدل هامتي
بينما هامتها لا تلوى على شيء

أصارحكم بأننى
أبعثر حروفي
كشظايا ألم

وبقايا وجع
وأنين ذكرى

أصارحكم بأنني
الموقع أدناه
قد ارتكبت غواية البوح
عرضا
ولكن مع سبق الإصرار والترصد

أفتح للرؤى صفحاتي

أفتح للرؤى صفحاتي
علها تتوغل بداخلي أكثر
تقطف حبة رمان
من عيني
وجذورا من نعناع قلبي
ربما يهيء لها هذا كوبا من الشاي الدافئ
في هذا الصقيع
أو يرمم زوايا المرايا
بمزيد من الصور
سأرتدي الصبر لبعض حياة
فاذا أفسده المطر
لعنتني الأبجديات
كيف تراك بزواية الصمت
كائنا مستعصيا على السؤال
أما الاجابة فلا محل لها من الاعراب
والضمير مستتر لم يقدر بعد
والفاعل بانس لم يفعل شيئا
والمفعول موصوم دائما بالغير
وحرف الجر أرهق من كثرة احواله
والمجرور محفوف بخطر داهم

والمضاف اليه لم يضيف شيئاً

سوى السراب للشتاء

والياس للشجر

ثم بعد..

يأتي النهار

فتتبدل الأشياء

أصبح أنا أنت

كأن الستائر ما كانت الا في خيال الشعراء

ما بين الطمى .. والماء

حينما كانت في الخامسة
وحين الخامسة صباحا
كان موعدها اليومي
لترك دفء أسرتها الحاملة
والشتاء يدمر المراسي العنيدة
لتنطلق قبل الشروق بقليل
للطريق الذى مازال يحتضن الظلام
لتلحق بقطار لا قلب له
وبمعطف ثقيل
كانت تخفى هموم طفولة كانت
وعرائس قطنية تفتقد الدفء
كان ولوج الفجر وشيكا
والبشر يتدافعون
بداخل عربات القطار
وهى تتعثر بسنواتها الخمس
بين أقدامهم
كأنهم على موعد مع ساعة لا تتأخر
كانت الوجوه تتشابه وتختلف
ولا يجمعهم الا المقاعد الباردة
والذكريات التي لا تأت دائما

والنوافذ المحطمة

ورائحة الزمن

التي زكمت الأنوف

والخيالات تتكاثر

من أخضر ويابس

ومساحات أكثر رحابة

من قطار مصمت

وكما يفعل دائما الصباح

يوقظ الطيور من أعشاشها

لتحتفي بقدومه
والندى من معية بتلات الزهر
والتمر من أعنان النخلات الباسقة
فتساقط رطبا
والنهر يجرى زلالا
فترتوى أراض هجرها الرحيق

وذاث يوم بعيد
اكتسب الصباح لونا سوداويا
حيث اكتست النساء
بأثواب الحداد
فلقد ذهبت طفلتهم الصغيرة
لتنفذ عروستها المسكينة
من عمق النهر
فما عادت هذه أو تلك
فقد جرفها التيار بعيدا
حيث اجترت أيامها القادمة
بين حنايا الكفن الصغير

وبكت ذات الخامسة ربيعا
كذلك عرائسها القطنية
حد اغراق الروح
وغاصت بالطمي الأقدام
فعجزت عن التقدم
أو حتى الصراخ
ومر القطار بطريق العودة
فلم تستطع به اللحاق
والحصار قائم
ما بين الطمي والماء

ساعات بلا وقت

تأخرت ساعتى

وتركتنى بقارعة الطريق

أنتظرها

دقائق اقتنصتها من دمائى

بت أتبع آثارها

وعقارب من ذكرى وشجن

تتربص بأفراحي المقترحة

وأحلامي البعيدة الأمد

وفجأة تبعثرت ساعات العالم من حولى

هذه فوق رأسى

وتلك بأضلعي

وهذه تسخر من ركضى باتجاهها

وتلك تقترب منى

فيخيفنى بريق لحظها

وهذه تدق

وتلك تددن

وأخرى تغرد

والأيام تمر سراعاً

خارج إطار الوقت
همست لها أن تتند
فأخبرتني خلسة
بتمردها على قانون
جاذبية الوقت
وها هي عشوائية الفوضى
كان مواعي بعد بضع ونصف
ما عدت أحصى ما فات
وما تبقى
فنظرت لساعتي
فوجدتها تتعلق بمعصمي
كغريق تنجيه التفاتة
ووجدتها
فقدت عقارب وقتها
وأصبحت دونها
أرقاما لا تعنى شيئاً
الا ذكري من وقت مضى
ولن يعد

هو كما أراد تماما

يحارب طواحين الهواء
يشاكس ظله
ثم يسبق أحلامه.. لينام

تعرفله الخطى المتدافعة
فيحذو حذو التراب
ليتقاسما معا الأحلام

تناوشه أشعة الشمس
تؤلمه رؤاه المتناثرة
بعدها اقتصت منه الأيام

تستوقفه الأسئلة
بقارعة الطريق
يتلفت يمنا ويسارا
ويبتسم بسخرية
لأدوات الاستفهام

تستوطنه أنه
تبتكره أضغاث أهام

يتلاشى.. رويدا
يلتهمه الزحام

يقص للجميع
أساطير الماء
..وحده يتكلم
..وحده يصمت
والجميع نيام

أتلوه بحذر
فما عدت أدري
ما استبقى لي
من صمت.. أو كلام

كعادته هو
يقرضني اللاشيء
وتزجرني نواجذه
ليحترق على مقربة مني
وتتلظى بداخلي الآلام

وصداه مازال يردد
على الدنيا .. السلام

إلا قليلا

لا أعلم هل رأسي تدور
أم الكون حولي يدور
قالوا بجاذبية للأفكار
مقرها النفس الكامنة
بوعي القلب
النابض بسكنات العالم
كل شيء يدور
في حركة شبه دائرية
إلا قليلا
كدائرة شبه مفرغة
مركزها نفسها
ومحيطها أفقها
ومساحتها لم تقرر بعد
كل شيء يختلط
بعض الفكر
بكثير من الشعور
في شبه دراما
لا يمثلها أحد
تفتقر لأفئعة ترتديها
هذه أو تلك
وستارة لم تنزل
بذاكرتي تتعلق
تصعد ثم تهبط
لتلاقي تلك الدوابة
نحو الدائرة

لا شيء يكف عن الدوران
ليس من شيم الدقائق الصمت
ولا الجدران تصرخ
لنستجدي الوقت
والزوايا حانقة

تعاني الموت

لوحات تفتقر لألوانها
والهياكل تفتقد أحجامها
والأبعاد تختلف وتنسق
بسيمتريّة خاصة

شمس تدور
وقمر اقترض
خاصية الدوران
الأشياء تتكور
نحو الاكتمال
أم نحو الانفراج
والروح تسبح
خارج وداخل
دوائر أعمق
لتضع نقاطاً أخرى
لدوائر جديدة
أو ربما لم تخترع بعد
كانت الدوائر تلامسني
كنت حيث هي
بداية لم تبدأ بعد
أو ذنباً لم يقترفه أحد

احترق

توطئة

حروف

تلامسني

فأحترق

تقترب

أكثر

حتى تترد الظلمة

هناك على الجانب الآخر

ثمة طريق يبتسم

زرقة السماء

تزيدني ظمأ

للماء

حرف يئن

وحيدا

ذلك الذي

لم تطأه الأقدام

قلمي مل الانتظار
شيء ما
يدفعني لاختراق
غشاء رقيق
يفصل ما بيني.. وبينني

بيني وبين حروفي
حنين وأشواق
وأنين عند الفراق

يقرأني بصمت
ويتلعثم في

قولوا لكل الحروف
أن تحشد قواها النورانية
فروحي الأسيرة
تريد الانطلاق

تعلمني حروفي جيدا
لأنها تعرف ما أسر وما أعلن

وما يسكن بالغرف الخلفية

مرارة الدمع

تتساقط رويدا

مع كل علامة وقف

بعد رحلة مضنية

مع الحرف

أستطيع أن أعلن

أن الاكتواء بحرف وليد

موت يعقبه حياة

يقرنون الحرف بي

مع أنني بحرفي أتحد

يبحثون وراء الحرف

عن ثمة زلل

وأبحث أنا

عن طوق نجاة

أجرى مع حروفي

جدالا

نقاشا

حوارا

لكنني لن أفشي لأحد

أسرارنا

عندما تصمت الحروف

أشعر بالموت يتسرب إلي

متى بدأ العشق؟

هل من أول حرف

أم من تتابع النزف

أم من تألف العزف

ختاما

هل بالروح

موضع لألم؟

علامة تعجب قصوى

يسألني صمت يتبعه صمت

فأفر منه داخل الحرف وخارجه

فأجده هناك يتربص بي

كمرآة

كنهر

كعمر

سكبه الناي تباعا

أخترق النهر

بهواجسي

تلك الغافية من عصور الطوفان الأعظم

يرتدني خوف

يهمس لي حذر

تعتركني أشياء لا حصر لها

فأنصت لهذا وذاك وتلك

وبداخلي حنين

أجهل كيف أتعامل معه بصمت

أشاكسه عن بعد

أترقب نبضه كطبيب

ما احترف الطب

يسر لي بأحلام المساء

واشراقه الفجر الوشيك

وألمس حديثه

كعين أبصرت بعد ظلمة كادحة

أتلعثم بأبجديته التي عرفتها دوما

وما تحدثت بها يوما لسواه

يتقن صمتي

يتقن ما سبق وما سيأتي لا محالة

خشيتي من الاعتراف بجهلي

كخشيتي يوم اخترقني بحب

فبعثرني كلي

كما تفعل رياح محببة بسحاب أسر

لتناسل الأمطار

كأحلام ما اقترفت خطيئة الجنوح

كلي بانتظارك

ينتظر

ويمعن في التغيب

ويقترب كل خطايا الاغتراب
ويتقدم هنيهة
لتؤخره كثيرا خطاه
وينبثق منه نبض
يتشعب لنبضات عديدة
كخطوط يد تبحث عن يفقه أثرها
كلحن يتردد تباعا
ألفه العامة ولم يتساءل أحدهم
عن مؤلفه المغمور
اعتمره الحرف يوما فارداه بصيرا

وأستيقظ منك
ليضمني صوتك
كنسمة شتاء نثرية
فأتوجس مما ذرفه الدمع مني
وأفايضه بما تبقي
ألا يبقى

صمت حين الحزن
صمت حين ذهول الموت
صمت يتبعه صمت

دائماً للصمت رائحة.. الفقد
نكهة الابحار دون ميناء
لعنة البوح
وقهر مسافة محدبة من وقت
مسافة مكثفة من قهر
همسة ما خرجت من قلب لتصل لقم

يا من قهرت الصمت
يامن لك يذهب الحرف كله
نبيضه ووجهه
سره وعلنه
يا من يعبث بي كيفما شاء قلبه
وأينما تبحر بي روحه
يا من صمته فكر
وبوحه اصطفاء
وهمسه ارتطام نسمة بأخرى
يا من نفذ لي كما ينفذ الماء للماء
والنجم للسماء
يا من عرفني بي مجددا
وارتداني كمعطف شتاء
ظللني كغمامة حلم

وانبعث في كبركان هائل

يا من أحمله بداخلي

أيقونة من صبر

ويحملني بداخله

كعلامة تعجب قصوى

رسائل منى ..إلى

(١)

لا أعرف لماذا يرأسني ظلي؟
ولا أعرف كيف يستقبل ساعي البريد صمت رسائلي؟

(٢)

كتابة الرسالة ضمير وصل لذات هناك تنتظر اللاشيء.. بشغف

(٣)

كم كتبت لي من رسائل ولكنها للأسف لم تصل بعد
نصحتني صديقتي أن أذيل الظرف الخارجي بعبارة "شكرا لساعي
البريد" دون جدوى
ربما أنني نسيت العنوان الذي لا أعرفه ولا يعبر عني مطلقا
أو أنني نسيت كتابة اسمي الذي لم أختره
أو ربما أنني كتبتها صمتا وخرجت الأبجديات تستنشق القليل من الهواء
ومن غفلتي أغلقت الظرف دون عودتها
أو أنني ذات احتراق ألقيت بمفتاح أدراجي للبحر لعله يهمس للسماء
بزرقته ويلقن الرياح بأبعاد أخرى للجنوح سرا
أو أنني تعطفت بأوراقك تلك على امرأة عجوز ذات شتاء بأوهام دفء
متخيل.. أو ربما...

(٤)

لأنك مني فتلك رسالتي الى/اليك

لا أجد كتابة الرسائل
كعادتك ستبتسم وأنا أرددها عذرا فأنا لا أكتب الحروف بل هي من
تصلبني ..ما بين اعتلال الألف وهزيمة الياء
سألتني مرارا أن أبعث لك كل صباح برسالة حتى لو كانت فارغة
سألتني يوما أنا أبعث لك بي..
دون تردد أردفت: ألم أفعل بعد؟

(٥)

سأبتسم هذه المرة لي/لك

سألقي تحية الصباح على الستائر وهي تضم بشائر الضوء البكر
سأهمس لزهور حديقتي بأنك تمنيت رؤيتها لمرة أولى/ربما أخيرة
سألن الحلم أسرارك الصغيرة التي أستودعها في طيفك المشاكس
سأذكر نفسي مرارا وتكرارا .. بأننا بداية ما بدأت بعد

(٦)

لا أعرف لماذا تركض القطارات بين أوردتي
قطارات ما فرغت قط من الراحلين/عابري السبيل/الذكريات الهاربة دون
وطن
ما توقفت ذات يوم تسألني المزيد
ما استجمعت يوما شجاعتي لأسألها الرحيل
على الأرصفة الباردة كنت أنتظر ثمة قطار لا ينتظر كثيرا خطواتنا
المتلحمة في استجداء الطريق

(٧)

أين مني قصيدة تشبهني حين أبتسم..
حروفها كضفائري
صوتها ايقاع الصمت وهو يترنم ببعض النبوءات
دهشتها سماء بلا بدء بلا ثمة نهاية
تسألني السبيل فأجيب بما لا أعرف من اجابات موحية
أشرع لها نوافذ قتلتها الرتابة
أنتمى لها كانتمائي لدمائي لإحساس أول بالحياة لمكيدة لا مناص من
اجتيازها ليصبح الطريق ممهدا للعابرين
لشعور بفيضان قريب والأمطار تشتعل بالرؤيا
أين مني ظلالى لأتحذ بها فالأرقام تتلاشى رويدا

(٨)

رغم ان الدقائق لا تكف عن الضجيج والثواني تستهدف نبضي
الا أنني أشعر بوخزة من حرف والصدى يردد أناي بصمت
والأبواب تشرع لنا أبوابا جديدة

ورغم هذا وذاك أفضل كلية في التنفس بعمق
كلما حاولت يأتي الهواء ثقيلًا فأستعير من الزفير شهيقًا
أستجدي الليل فيفيض بالنجوم لا القمر أستجدي الفجر فيفايضني بالأجحة

(٩)

سأكتب لك ما يشبه الحروف ولأنك تقرأ ما لا يكتب سأكتفي بالقليل

مترددة أنا في الكتابة قليلا اليوم
ربما لأنني أتخيلك تبتسم لكل حرف تركته أسيرا للصمت دون حراك
وأنت بعضا سحرية تمنحه شهيقًا..
لندب فيه الأوردة ومن ثم ينبث لها قلب جديد يعاهدك على اخلاص دائم
وأنا وسط كل تلك البعثرة أحاول استكمال لوحتي التي تحمل بالطبع
توقيعك

أحرر أبجديتي منك قليلا كيلا تتحول كل الحروف اليك
تلك تنقش اسمك بملامحي
وتلك تهمس بحروف صمتك
وهذا صدى نبضك الذي تردده الرياح
وهذا عطري الذي استخلصته منك
وتلك خطى أناملتي التي تحفر أنت .. ما بين شروق .. وآخر
ها أنا أحاول نسيانك بطقوسي التي تعلمها جيدا
لا تبتسم مجددا بربك لا تفعل فلقد صافحت ابتسامتك دموعي الآن

(١٠)

إليك مجددا وأبدا

رسائلك التي لم تصلني
تلك التي لم تكتب بعد
تخطها أناملتي تباعا
تكتنزها أدرجي الممتلئة بك حد العزوف عن أي شيء آخر